



4 أغسطس 2011

المخلوع تحت تأثير المهدنات وبقي مختبئاً وحركة يده للتوتر

· مبارك حاول التواري عن الكاميرات بإخفاء وجهه بيده

· العصابة انقسمت إلى فريقين و"العدلي" أكثرهم رعباً وارتباكاً

· حمل المصحف هدفه جلب تعاطف الشعب معهم

· رئيس أمن الدولة المنحل يقضم أطافره من التوتر

تحقيق: مي جابر وبارا نجاني

ثلاث ساعات تاريخية عاش خلالها الشعب المصري أحد الأحلام التي طالما لم يصدق أن يراها واقعاً فعلياً، من خلال أحداث الجلسة الأولى لمحكمة الرئيس المخلوع وولديه ووزير الداخلية الأسبق و6 آخرين من مساعديه.

تابع الملايين من الشعب المصري شاشات التلفزيون بتركيز شديد؛ انتظاراً لظهور الرئيس المخلوع، لكن هذه المرة ليتأكدوا أنه يُحاكَم فعلياً على ما ارتكب من جرائم ضد الشعب المصري على مدار الثلاثين عامًا الماضية.

الساعات الأخيرة من مساء الثلاثاء، وحتى الواحدة بعد ظهر اليوم- ثالث أيام شهر رمضان- مرت في ترقب شعبي شديد لصدق التصريحات الحكومية بظهور المخلوع ونجليه في المحكمة، وحوالي الساعة العاشرة صباحاً ظهر أولاً علاء وجمال مبارك على شاشات التلفزيون التي نقلت المحاكمات مباشرةً على الهواء، ثم تراجعوا قليلاً، وبدأ المتهمون في دخول القفص، بدءاً بأعوان العدلي، ثم حبيب العدلي؛ الذي جلس في المقدمة متوسطاً المقعد، وتلاه دخول علاء وجمال اللذين ظلا واقفين أمام القفص؛ ليغطيا على دخول الأب المخلوع؛ حيث لم يظهر لكاميرات التلفزيون سوى بعد استقراره في مكانه على سرير طبي.

ما بين حركات مبارك بيديه ووجهه، وحديثه مع ولديه الواقفين طوال مدة الجلسة يحملان مصحفين في أيديهما، وجلسة حبيب العدلي وأعوانه خلفه على مقاعد المتهمين داخل القفص (إخوان أون لاين) يضعهم على مائدة التحليل النفسي:

أول مشهد لفت انتباه الدكتورة رضوى سيد عبد العظيم "طبيبة الأمراض النفسية والعصبية بالقصر العيني" هو التنافر والتباعد الشديد الذي ظهر على المتهمين فور دخولهم القفص؛ حيث انقسموا إلى فريقين متباعدين؛ الأول: فريق "العدلي" وأعوانه، والآخر البعيد عنهم فريق المخلوع ونجليه؛ الذين بدت بينهم حميمية وتقارب.

وتتابع: وبينما وضحت على "علاء" و"جمال" علامات التوتر والقلق مع بداية دخولهما قفص الاتهام، كان الرئيس المخلوع الأكثر ثباتاً من ولديه؛ ما يشكك بشدة في وقوعه تحت تأثير المهدئات؛ لما لديه من مرض في القلب وغيرها من الأمراض التي تسمح له قانوناً بتناول المهدئات، مؤكدةً أن التوتر بدأ في الظهور على مبارك مع اقتراب الجلسة من الانتهاء، وهو ما يجعل نسبة حصوله على مهدئات كبيرة؛ نظرًا لأن المهدئ يكون قصير المفعول، ولا يستمر لساعات طويلة، فتناقص مفعوله مع مرور الساعات على المخلوع.

وعن اللغة الجسدية لمبارك تقول إنه ما زال يتمتع بتركيزه كاملاً؛ لنومه واضعاً يده في نفس موضع تعوده عند جلوسه في مباحثات أو مناقشات مهمة، بيده على خده من أول الجلسة، وكذلك عندما طلب منه القاضي الإجابة عن سؤاله أعطى رد فعل سريعاً وطبيعياً جداً.

الرئيس المخلوع حسني مبارك داخل قفص الاتهام

وتشير إلى حدوث اتفاق مسبق وتدريب عالٍ للرئيس السابق وولديه علاء وجمال، مع المحامين على الثبات الانفعالي، قائلاً إنهم أعطوا ردود أفعال ثابتة جداً عند الإجابة بالنفي على التهم الموجهة إليهم، كما أنهم تدربوا على منع أية انفعالات عاطفية أثناء سرد التهم الموجهة ضدهم، على الرغم من شدة تلك التهم على أي إنسان، لم يعطوا تعبيراً واحداً على التأثير منها.

وتفسر أن الأخوين تمتعا بتناقض كبير طهر من طريقة وقفة كل منهما داخل القفص بجانب والده، فعلاء كان واضحاً يده خلف ظهره؛ مما يعطي معنى استعداده لتلقي أي تهم، وأنها لا تشعره بالقلق، ويوحى بالهدوء النفسي، كما أنه الأكثر قبولاً ورحابةً للتهم، في الوقت الذي وقف فيه جمال صاماً يديه إلى صدره (تكتيف اليدين) وهو وضع دفاعي يلجأ إليه الإنسان للدفاع عن نفسه ضد أي اتهامات موجهة له.

وتؤكد أن عائلة مبارك استخدمت وضعا ينم عن الترتيب والإعداد المسبق له، بادخال علاء أولاً ووقوفه في المقدمة أمام والده لحماية من عيون الكاميرات، حاملاً مصحفاً في يده، كمحاولة لاستمالة قلوب المصريين؛ باعتبار أن علاء الأقرب للمواطنين، موضحةً أنه في حال وقوف جمال في المقدمة كبديل عنه لكان الوضع استفزازياً لمشاعر المصريين، ولم يكن يسمح بالتعاطف مع مرض والده.

ومتفرداً في بدلته الزرقاء ترى الدكتورة رضوى أن "العادلي" أكثر المتأثرين اليوم بالمحاكمة، خاصةً أنه الوحيد الذي حصل على حكم من قبل؛ لذلك طهر وكأنه يتعرّض لعملية إعدام وليس لمجرد محاكمة، فنظرات وجهه وتعبيرات جسده أصدرت إحساساً كبيراً بالرعب والصدمة، مضيقةً أن نظراته كانت تشير بأصابع الاتهام إلى عائلة مبارك، وكأنها هي من أوصلته إلى هذا الطريق، ولسان حاله يقول: "أنا بريء، هم من ظلموني"!!

وتضيف: كما أن وجه "العادلي" كان يصدر مشاعر مرتبكة بين الألم والتماسك، فعلى الرغم من حجم الألم الذي يشعر به، فهو يحاول أن ينغصم عن الإحساس بالرعب والألم والظهور متماسكاً.

### استسلام وخضوع

ويحلل الدكتور محمد المهدي، أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر، الحالة النفسية للرئيس المخلوع حسني مبارك خلال محاكمته، قائلاً: "بدأ الرئيس المخلوع بعد دخوله مباشرةً مستسلماً يحاول التوارى عن الكاميرات، من خلال وضع يده على وجهه، ثم ظهرت عليه حالة اللا مبالة طول الجلسة بعد ذلك، لا نستطيع تفسيرها، إلا أنها إما لا مبالة بهذه المحاكمة أو الاطمئنان من نتيجة الحكم؛ حيث إنه أخفى جميع الأدلة التي تدينه، كما أنه كان لا يستطيع مواجهة الكاميرات أو الحضور، فكان ينظر إلى القاعة بطرف عينيه".

ويضيف أنه لم تكن تظهر عليه أعراض المرض والوهن الشديد كما كانوا يصوّرون من قبل، أو أعراض الاكتئاب؛ حيث كان يتحدث إلى أبنائه والناس من حوله بشكل عادي جداً، وعندما نادى القاضي عليه ردّاً ثاباً وبصوت قوي وجيد، ويرجع ثبات تعبيرات وجهه إلى أن الرئيس المخلوع يُعرف بفقر تعبيرات الوجه، بالإضافة إلى كبر السن وسوء الحالة الصحية.

ويشير إلى أن جمال مبارك حاول أن يظهر بمظهر الصلابة والعناد والإصرار والتعالي والعنجهية، وكان ذلك واضحاً من خلال نظراته وردده على السؤال، كما أن حركته كان تدلُّ على محاولته الدفاع عن نفسه والتحدي، مضيقةً أن أخاه علاء كان قلقاً حزيناً

ويفسر حمل علاء وجمال المصاحف أثناء الجلسة بأمرين؛ الأول: هو التماس العون والمساندة من الله عز وجل في ظل مرورهم بهذه الأزمة والمحنة الشديدة، حسيما يطنون، أما الثاني فهو نوع من جذب تعاطف الشعب المصري المعروف عنه نديُن الطبايع وتقديس كل ما له علاقة بالدين والتعاطف مع هذه المظاهر الدينية، مؤكداً أن المعنى العام لهذين الأمرين هو حاجتهما إلى المساندة والدعم، سواء من الله عز وجل أو الناس.

جمال مبارك يقف داخل قفص الاتهام أثناء المحاكمة

### إنارة التعاطف

ويقول الدكتور هاشم البحيري، أستاذ الطب النفسي بجامعة الأزهر، إنه لم يظهر على الرئيس المخلوع حسني مبارك أي مظاهر اكتئاب كما كان يدعى محاميه فريد الديب لإنارة استعطاف المصريين له، موصفاً أن مريض الاكتئاب يعاني من رعشة وتوتر في الأطراف، بالإضافة إلى نظرات عين متوترة، وهو ما لم يظهر على الرئيس المخلوع.

ويضيف أن مبارك بدا بصحة جيدة، لكنه يعاني من ضعف السمع؛ نظراً لكبر سنه؛ مما أدى إلى قلة تواصله مع الآخرين إلا مع نجله جمال، مشيراً إلا أنه ظهر بثبات انفعالي جيد كما تمرن عليه خلال سنوات حكمه.

أما الابن الأكبر علاء مبارك، فيرى د. البحيري أنه ظهر هادئاً ذا نظرات ثابتة وملامح وجه متحجرة، ولكنه كان أقل ثباتاً من أخيه جمال، وظهر ذلك من خلال حركاته الكثيرة ووضع يده خلف ظهره، كما كان يميل كثيراً بجسمه للأمام لمتابعة الحضور بالقاعة، سواء من القضاة أو الدفاع أو المدعين بالحق المدني.

ويستطرد قائلاً: "يبدو أن جمال وعلاء ما زالوا يعيشان في دور أبناء الرئيس؛ حيث حاولا من بداية الجلسة الوقوف أمام الكاميرات حتى يكونا ساترين لأبيهما ليخفوه منها، كما حاولا اللعب على أوتار مشاعر المصريين بحملهما للمصحف بشكل ظاهر للجميع، فهما يستجلبان عطف الشعب المصري بذلك".

ويرى أن جمال مبارك تمرن جيداً على الثبات الانفعالي؛ حيث كان يعده والده لورائته، وظهر ذلك خلال الجلسة؛ حيث كان أقل توتراً، كما كان يحاول حماية نفسه بـ"تربيع يديه" والتي تسمى "حركة الدرع" أو "الستارة".

### الاختباء

ويشدد الدكتور عماد مخيمر، أستاذ علم النفس بجامعة الزقازيق، على أن رؤية النظام السابق وخاصة رأسه في قفص الاتهام يحاكمون، يعطي رسالة للجميع بأن "العدل سيأخذ مجراه، والحساب يكون في الدنيا والآخرة"، كما أنه سيحدث هزة نفسية لدى كل القيادات في أي موضع في مصر كلها، إذا حاول التفكير في الانحراف فسيجد نفسه في نفس مكان المخلوع الآن خلف القضبان، لا يجد من يتعاطف معه مطلقاً.

وحول رؤيته لوقائع المحاكمة يؤكد أن الضعف والانهيال النفسي بدا واضحاً على مبارك؛ حيث فضّل أن يظل نائماً على سرير طبي، على عكس طبيعته وما هو معروف عنه بالنشاط الدائم، كما انتهت مشية الطاووس وتقدم الصفوف الذي كانت تميزه باستمرار، واستبدلت بالاختباء خلف ولديه، والبقاء في الخلف.

ويشير إلى أن الأحاديث التي دارت بين مبارك ونجليه كل فترة أثناء المحاكمة، واقترابهم منه، هو بعض الشعور بالاطمئنان الزائف من جانب المحامين الذين أفتعوهم بإمكانية إطالة مدة المحاكمة لسنوات، وبطاء العدالة، من خلال المحاولات التي قاموا بها اليوم من طلب إجراءات ودفوع وشهود، في محاولة لإعادة القضية إلى نقطة الصفر مرة أخرى.

ويقول عن الحركة التي رآها الجميع للمخلوع وهو واضعٌ يده على خده وكأنه جالسٌ يستمع باهتمام؛ بأنها إحدى اللوازم التي تحولت إلى عادة له، وهو النوع الذي يظهر دائمًا عند الشعور بالتوتر؛ حيث حاول المخلوع أن يبدو متماسكًا، لكن حركاته الجسدية فضحت الحقيقة، وهي نفس الحالة التي دفعت حسن عبد الرحمن، رئيس مباحث جهاز أمن الدولة، للعضن على أصابعه طوال فترة الجلسة، كما صورته كاميرات التليفزيون.

ة حاتم ريغ ةروصلا

أما سفاح الداخلية "العادلي" فيقول: إن تعبيراته عند الدخول وتسريحة شعره وحركاته طول الجلسة، تفسر ضمنيًا كثيرًا وتوقعًا منه ليلقى حكمًا مضاعفًا لما حصل عليه من قبل، قد يصل إلى الاعدام؛ حيث ظهرت عليه علامات الارتباك و"الخصنة".

ويشير إلى التأثير الإيجابي لعنينة المحاكمة ومشاهدة المواطنين لرؤوس النظام السابق أمامهم في قفص الانهزام، في تخفيف حدة الغضب الذي شعر به الشعب المصري لمدة طويلة، متوقعًا أن يخف الغضب بنسبة كبيرة مع بدايات جلسات المحاكمة، ولن يختفي بشكل نهائي؛ حتى يتأكدوا من سير الثورة في مسارها الصحيح والاتجاه نحو الديمقراطية والعدالة الاجتماعية التي نادى بها الثورة منذ بدايتها في 25 يناير؛ حيث تعطي المحاكمة إحساسًا بالتوجه نحو دولة القانون التي تحكمها المؤسسات ولا يحكمها الأشخاص.

حبيب العادلي داخل قفص الانهزام